قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ماذا قال أئمَّة الدِّين من السَّلف الصَّالح في مسألة (الاستواء)؟

ج: قولهم بأجمعِهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الاستواء غير مجهولٍ، والكيف غير معقولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ، ومن الله الرِّسالة، وعلى الرَّسول البلاغ، وعلينا التَّصديق والتَّسليم».

وهكذا قولهم في جميع آيات الأسماء والصِّفات وأحاديثها، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧]، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران:٥٢].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من ذكر أدلَّة علوِّ الفوقيَّة مِن الكتاب والسُّنَّة، وكان من جملة ما ذكره فيها: الآياتُ الواردة في استواء الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، وأنَّها تدلُّ على علوِّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ أتبعها بسؤالٍ قال فيه: (ماذا قال أئمَّة الدِّين من السَّلف الصَّالح في مسألة (الاستواء)؟).

وإنَّما جَعل عمدة السُّؤال في المسألة المطلوب بيانها قولَ أئمَّة الدِّين من السَّلف الصَّالح؛ لأنَّ ما سبق من آياتٍ أو أحاديثَ في الاستواء لا يُنازِع أحدٌ في ثبوتِها؛ فهي آياتٌ قرآنيَّةٌ أو أحاديثُ نبويَّةٌ صحيحةٌ ممَّا جاء في «الصَّحيحين» أو غيرهما، وإنَّما النِّزاع في معاني تلك الآيات والأحاديث التي جاء فيها ذكر (الاستواء)؛ فالتمس المصنِّف معرفة ما عليه أئمَّة الدِّين من السَّلف الصَّالح؛ لأنَّ نجاة العبد هي في الاقتداء بِهم؛ فالنَّبيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أنَّه ترك أمَّته على البيضاء؛ ففي حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجهْ بإسنادٍ حسنٍ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَايْمُ اللهِ؛ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**».

والصَّدر الباقون على البيضاء هُم السَّلف الصَّالح؛ من الصَّحابة، والتَّابعين، وأتباع التَّابعين.

فإنَّ اسم (السَّلف) إذا أُطلِق أُريد به هذه القُرون الثَّلاثة؛ الَّتي وقع الثَّناء عليها في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، وسيأتي هذا في موضعه في كلام المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وسبيل نجاة العبد هو أن يقتدي بأولئك النَّاجين؛ الَّذين تمسَّكوا بما كان عليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووعوا ما جاء في القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة من بيان حقيقة الشَّريعة خبرًا وطلبًا.

فمن أراد أن يعبد الله بالدِّين الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّه يلزم طريقهم، ويسير بسيرهم.

والأمر كما قال ابن الجزَريِّ في «طَيِّبة النَّشر»:

فَكُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ   فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

ولهذا قال المصنِّف: (ماذا قال أئمَّة الدِّين مِن السَّلف الصَّالح...؟) أي لأنَّه يُؤخذ بقولهم، ويُورَد على مواردهم، ويُنزَع مِن مناهلهم؛ فهم كانوا بالصَّواب أحرى، وعلى سبيل السُّنَّة أبقى.

ثمَّ أجاب عنه بقوله: (قولُهم بأجمعهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى) أي أنَّ هذا القول معروفٌ عنهم جميعًا؛ أنَّهم قالوا: («الاستواء غير مجهولٍ، والكيف غير معقولٍ، والإيمان به

واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ، ومن الله الرِّسالة، وعلى الرَّسول البلاغ، وعلينا التَّصديق والتَّسليم»).

واستواء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فسَّره أئمَّة السَّلف وأهل المعرفة باللِّسان **بأربعة معاني**:

✓ **أحدها**: الصُّعود.

✓ **وثانيها**: الارتفاع.

✓ **وثالثها**: العلوُّ.

✓ **ورابعها**: الاستقرار.

ذكره جماعةٌ؛ منهم: أبو عُبيدٍ القاسم بن سَلَّامٍ الهَرويُّ، وأبو عبد الله ابن القيِّم في «الكافية الشَّافية».

وأشرتُ إلى هذا بقولي:

(الاسْتِوَاءُ) فَسِّرَنْ فِي اللُّغَةِ ... بِنَقْلِ عَارِفٍ بِهَا وَثِقَةِ
بِالارْتِفَاعِ وَالْعُلُوِّ وَالصُّعُودْ ... وَالرَّابِعُ اسْتِقْرَارُهُ بِلَا جُحُودْ

وهذا الجواب الَّذي ذكره المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **اشتمل على سبعة أمورٍ**:

الأوَّل: قولهم: (الاستواء غير مجهول) أي معلومٌ؛ فلا يحتاج لفظه إلى تفسيرٍ؛ قاله الذَّهبيُّ في كتاب «العلوِّ».

فالعربيُّ المخاطَب بالكتاب والسُّنَّة يفهم مِن معنى (الاستواء) ما عَرفَتْه العربُ بلسانِها مِن المعاني الأربعة المتقدِّمة؛ فلا يحتاج حينئذٍ إلى تعريفه بمعنًى زائدٍ عن ذلك؛ فإذا سَمِع العربيُّ الآي والأحاديثَ الواردةَ في (الاستواء) فسَّرها بتلك المعاني الأربعة؛ من العُلوِّ، والارتفاع، والصُّعود، والاستقرار.

وهذا ما جاء في روايةٍ عن الإمام مالكٍ أنَّه قال: «الاستواء معلومٌ».

وهذا الجواب رُوِي أيضًا عن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن رَبيعة الرَّأي - شيخِ الإمام مالكٍ -؛ أنَّهما قالا كما قال مالكٌ.

واشتهر هذا الجواب عن مالكٍ مع أنَّه مسبوقٌ بِمن ذكرنا قبله؛ لِصِحَّته عنه، وأمَّا عن غيره: فما جاء عن أمِّ سلمةَ فسندُه ضعيفٌ، وما جاء عن ربيعةَ الرَّأي فمتردِّدٌ بين القبول وعدمه، لكنَّه محتمِلٌ للقبول.

وأشرتُ إلى ما تقدَّم بقولي:

قَوْلُهُمُو فِي (الاسْتِوَاءِ) عُــولِمَا ... وَكَيْفُهُو مَجْهُولٌ امْرٌ[١] حُــوتِمَا
عَنْ هِنْدٍ يُرْوَى تِيكَ أُمُّ سَـلَمَهْ ... وَعَـنْ رَبِيـعَـةٍ رَوَاهُ الْـكَـمَـلَهْ
وَنَقْلُهُو عَنْ مَالِكٍ مُشْـتَهِرُو ... كَأَنَّهُ عَنْ غَيْرِهِي مَا أَثَرُوا[٢]
لِأَنَّهُو عَنْهُ مِنَ الصَّـحِيحِ ... وَلَمْ يُحَطْ سِـوَاهُ بِالتَّصْـحِيحِ

والثَّاني: قوله: (والكيف غير معقولٍ) أي أنَّ كيفيَّة هذه الصِّفة غير معقولةٍ لنا؛ فعقولُنا تنقطع عن إدراك حقيقتها؛ فهي محجوبةٌ عنَّا، مجهولةٌ لنا.

وهذا القول وما كان في معناه مِن (نفي الكيف) يُراد به: نفي عِلمنا بـــ(الكيف)، لا أنَّه لا كيفَ لها مطلقًا؛ فما مِن شيءٍ إلَّا وله كيفيَّةٌ، بدلالة الوضع اللُّغويِّ أو بَداهة العقول، لكنَّ عِلمنا بكيفيَّة صفة ربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متعذِّرٌ غيرُ ممكنٍ لنا.

فالسَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لم ينفوا وجود (الكَيف)؛ وإنَّما نفوا العِلم به؛ فلا يقولون:

---

(١) بنقل الهمزة.

(٢) أي لم يَروُوا.

(الكيف غير موجودٍ)، وإنَّما يذكرون الجهل بـ (الكيف)؛ كقولهم: (الكيف غيرُ معقولٍ)؛ فيُثبِتونه مع إقرارهم بأنَّهم لا يعلمون به [(١)].

والثَّالث: أنَّ (الإيمان به واجبٌ)؛ فيجب الإيمان بصفة (استواء الله عَزَّوَجَلَّ) الَّتي جاءت في آيات القرآن الكريم وأحاديث النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ورابعها: أنَّ (السُّؤال عنه بدعةٌ) أي السُّؤال عن كيفِيَّته، أو السُّؤال عنه على وجه التَّعنُّت والمُشاقَّة [(٢)].

فالسُّؤال عن تفسير الصِّفة لا يكون بدعةً؛ فمِن النَّاس من قد يَجهل الوضع اللُّغويَّ لصفةٍ ما، فيَسأل عن معناها.

وإنَّما الَّذي أنكره مَن أنكره مِن السَّلف هو أن يكون السَّائل سائلًا عن الكيفيَّة، أو سائلًا لإرادة العَنت والمشقَّة بالمسؤول.

فالسُّؤال عن الصِّفة يكون بدعةً في حالين:

- **إحداهما**: أن يكون سؤالًا عن كيفيَّتها.

---

(١) ولم يقولوا: (والكيف غير موجودٍ)؛ لأنَّ عدم الوجود يدلُّ على النَّفي، فيستلزِم ذلك نفيَ الصِّفة نفسِها، لكنَّهم نفوا عِلمَنا به، وأنَّنا لا نعلم كيفيَّة صفة ربِّنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا مبنيٌّ - كما تقدَّم - على جهلنا بكيفيَّة ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. [شرح برنامج التَّعليم المستمر].

(٢) وهذه الجملة الرَّابعة إنَّما وقعت هكذا تبَعًا لجواب مالكٍ رَحِمَهُٱللَّهُ؛ فإنَّه سأله رجلٌ فقال: كيف الاستواء؟ فأجابه بقوله: «الاستواء غير مجهولٍ، والكَيف غير معقولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ»؛ أي السُّؤال عن الكيفيَّة، وليس السُّؤال عن تفسير الصِّفة.

فإنَّ السُّؤال عن تفسير الصِّفة لا يكون بدعةً... [شرح برنامج التَّعليم المستمر].

- **والآخر**: أن يكون سؤالًا لإرادة العَنَت والمشقَّة بالمسؤول؛ طعنًا في طريقة أهل السُّنَّة في هذا الباب.

وإلى هذه الأمور الأربعة انتهى جواب أُمِّ سَلمةَ، وربيعةَ، ومالكٍ.

وبقيت مِن جملة الجواب المتقدِّم ثلاث جُمَلٍ؛ وهي قوله: (ومن الله الرِّسالة، وعلى الرَّسول البلاغُ، وعلينا التَّصديقُ والتَّسليمُ)؛ وهذا معروفٌ مِن كلام ابن شهابٍ الزُّهريِّ - أحدِ التَّابعين مِن أهل المدينة -؛ علَّقه عنه البخاريُّ، ورواه الصَّابونِيُّ في «اعتقاد أهل الحديث» وغيرِه، وهو صحيحٌ عنه.

وبِهذه الثَّلاث تتمُّ السَّبعة.

فالخامس: قوله: (مِن الله الرِّسالةُ) أي أنَّ الله أرسل إلينا رُسلًا يأمروننا وينهوننا مبشِّرين ومنذِرين.

والسَّادس: قوله: (وعلى الرَّسول البلاغُ) أي أنَّ الواجب الَّذي على الرَّسول أن يُؤدِّيه ويقوم به هو إبلاغنا خبرَ الله وطلبَه.

والسَّابع: قوله: (وعلينا التَّصديقُ والتَّسليمُ) أي يجب على العبد أن يصدِّق بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، وأن يُسلِّم به؛ فكلُّه خبر صدقٍ حقٌّ؛ يجب على العبد أن يمتثله.

ثمَّ قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهكذا قولُهم في جميع آيات الأسماء والصِّفات وأحاديثها: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]).

فقانون الأسماء والصِّفات عندهم أصلٌ واحدٌ مطَّردٌ لا يتغيَّر؛ فهم يقولون مثل هذا في الصِّفات كلِّها؛ فيقولون في (النُّزول) و(المجيء) و(الإتيان) وغيرها مِن صفات الله

عَزَّوَجَلَّ ما قاله مالكٌ ومن قبله في صفة (الاستواء)؛ فيقولون بالعلم بمعناها، وجهلِ كيفيَّتها، وتركِ السُّؤال عنها، والإيمان بِها.

ومِن جملة الأجوبة الَّتي حاذت كلامَ مالكٍ - ومن تقدَّمه -: ما رواه الخطيب البغداديُّ في «تاريخ بغداد» عن أبي جعفرٍ محمَّدِ بن أحمدَ التِّرمذيِّ الحافظ؛ أنَّه قال: «النُّزول معقولٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ».

فهذا قول أئمَّة السَّلف في هذا الباب كلِّه.

وأشرتُ إلى ذلك في تمام الأبيات المتقدِّمة؛ فقلت:

وَمِثْلُهُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ نَقُولُهُ فِي مَذْهَبِ الإِثْبَاتِ

فَتِلْكُمُ سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّهْ فَاتْبَعْ هُدِيتَ - يَا أَخِي - لِلْجَنَّهْ

وهذا مِن محاسن اعتقاد السَّلف أهل الحديث والأثر؛ فإنَّ قولهم في أبواب الاعتقاد واحدٌ؛ وإن تباعدت بلدانُهم؛ فإنَّهم يَنزِعون مِن موردٍ واحدٍ؛ وهو الكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن طالَع كتب أهل السُّنَّة والاعتقاد المصنَّفةَ في القرون المختلفة والبُلدان المتباعدة؛ رأى قولَهم واحدًا؛ فيأتي في كلام أئمَّتهم في المشرق ما يوافِق كلام أئمَّتهم في المغرب.

وهم لا يضطربون في هذا الباب؛ فلا يُثبِتون تارةً وينفون تارةً، أو يقولون في بابٍ قولًا ثمَّ يتركون نظيره في بابٍ ثانٍ[1].

(١) ومِن دلائل صِحَّةِ مذهبٍ ما: اطِّرادُ قواعدِه وانتظامُها؛ بحيث لا تَتخلَّف في شيءٍ من الأفراد.

وأمَّا الَّذين يُفرِّقون بين الأفراد المتناظِرة فإنَّهم يقعون في الحيرة والاضطراب، كما وَقعت فيه طوائفُ

من نُفاة الصِّفات الَّذين يثبتون شيئًا من الصِّفات ويَنْفون شيئًا، أو كما وقع فيه من أثبَت الأسماءَ ونفى الصِّفات؛ فإنَّ هذا فِعل المتحيِّرة المضطرِبة أقوالُهم.

وأمَّا مَن يُعمِل قانونًا واحدًا فإنَّه لا يضطرب؛ وهذا من خصائص مذهب أهل الحديث والأثر والكتاب والسُّنَّة؛ فإنَّ قولَهم واحدٌ لا يتغيَّر.

ولهذا؛ فإنَّك إذا سألت أحدًا منهم في المشرق عن مسألةٍ، أجابك نظيرُه من المغرب بمثل جوابه؛ لأنَّ هذا الدِّين عندهم مأخوذٌ بالآثار، وإنَّما يأثُرونه عمَّن قبلَهم، وليس هو مِن بَدائه أذهانِهم، ولا زُبالات أفهامهم، ولا حُثالات آرائهم، بل هُم يَأْثُرون هذا عمَّن قبلهم.

ولا يختصُّ هذا المذهب بمحمَّد بن عبد الوهَّاب، ولا بأبي العبَّاس ابن تيميَّةَ، بل ولا أحمدَ ابن حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وإنَّما هؤلاء من أئمَّة الهُدى الَّذين قاموا بنُصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ في أزمانِهم.

وأمَّا أنَّ هذا المذهب هو مذهبه: فلا.

فإنَّنا بِحَمْدِ ٱللَّهِ نجد هذه الأقوال لغيرهم تخرج من مِشكاةٍ واحدةٍ.

وانظُر إلى ما يذكره ابن عبد البَرِّ - حافظ المغرب - في العقائد، وما يذكره الحُفَّاظ مِن أهل المشرق؛ كأبي بكر الإسماعيليِّ، وأبي عثمان الصَّابونيِّ، لا تجد بينهم فَرْقًا.

بل تجد في كلام أبي عمرَ ابن عبد البَرِّ التَّصريحَ بإثبات الأسماء والصِّفات، وإبطالَ دعوى أنَّها مجازٌ وأنَّها تُؤوَّل، وهو رجلٌ كان قبل محمَّد بن عبد الوهَّاب، وقبل أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ولجهل المعتنين بنصرة الاعتقاد بمثل هذه الأقوال، صاروا يظنُّون أنَّ هذه الأقوال هي لهؤلاء، فإذا أُورد عليهم أحدٌ شُبهةً في غلطٍ لأحد الأئمَّة المتبوعين، ظنَّ أنَّه دَكَّ الدِّين؛ وهذا من جهل بعض المنتسِبين إلى السُّنَّة والحديث؛ فإنَّ هذه العقائد لا تُنسَب إلى هؤلاء، وإنَّما هذه العقائد هي الَّتي جاءت في القرآن والسُّنَّة.

وكلُّ من اشتبه عليه شيءٌ مِن ذلك ففي الكتاب والسُّنَّة ما يُبطِله.

وتجد اليومَ مَن ينقل بعض المقالات عن بعض الصَّحابة فمَن بعدهم، ويستدلُّ بها على إثبات التَّأويل، وعلى الرَّدِّ على أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ ومحمَّد بن عبد الوهَّاب، ولو أنَّه كان عالمًا لَمَا قال: إنَّ ذلك ردٌّ على هذين الرَّجلين؛ فإنَّ هذه المقالة تُوجَد في كلام أُناسٍ قبل أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ وقبل محمَّدِ بنِ عبد الوهَّاب؛

كالخطيب البغداديِّ، والخَطَّابيِّ، وكأبي عُمرَ بن عبد البَرِّ.

ومَن لا يَطَّلع على مقالات هؤلاء الأئمَّة يظنُّ أنَّ عقيدتنا هي عقيدة فلانٍ وفلانٍ.

وليست عقيدتنا بِحَمْدِ اللَّهِ عقيدة فلانٍ ولا فلانٍ، ونحن إنَّما نقبَل مِن فلانٍ وفلانٍ ما وافق الكتاب والسُّنَّة.

وقد قال بعض أهل اليمن لبعض أصحاب الشَّيخ محمَّد بنِ عبد الوهَّاب - الَّذين وصلوا في الدَّعوة إلى بلاد اليمن -: إنَّكم إنَّما تعظِّمون محمَّدَ بنَ عبد الوهَّاب وتتَّبعون أقواله، فقال له: إنَّما نُعظِّم محمَّدَ بنَ عبد الوهَّاب لأنَّه دلَّنا على أدلَّة الكتاب والسُّنَّة، ولو أنَّه قام مِن قبره فقال لنا: (اتركُوا ما قلتُ لكم) لَمَا أطعْناه؛ لأنَّنا عَرفنا الحقَّ بما بيَّنه من الأدلَّة، ولم نعرفِ الحقَّ به، وإنَّما عرفنا الحقَّ بدليل الكتاب والسُّنَّة.

وهذا الَّذي ينبغي أن يكون عليه طالب العلم؛ فأنت تعرف الدَّليل بالكتاب والسُّنَّة، وليس بفلانٍ ولا بفلانٍ ولا في فلانٍ.

وإن وُجِد شيءٌ من الغلط المنقول عن بعض المنسوبين إلى أهل السُّنَّة والجماعة؛ فإنَّ في غلط غيرهم أضعافَ أضعافَ ذلك.

وقد رأيتُ بعضَ النَّاس ينقل ثناءً من بعض الكُتب على ابن عَربي، وفي نفس الكتاب النَّقل عن بعض الأئمَّة أنَّ ابن عربي إن سُلِّمت له أحواله لا تُسلَّم له أقواله.

فانظُر كيف أخذ شيئًا مِمَّا ذُكر في هذا الكتاب وترك شيئًا، ولكنَّ الهوى هكذا يصنع بأهله.

والسُّنِّيُّ إذا لم يعرف الأدلَّة، ربَّما لعبت به الأهواء؛ وهذا هو الَّذي ظهر بأخرةٍ؛ فانْتَحل بعض المنسوبين إلى بلاد السُّنَّة مذهبَ الأشاعرة ومذهبَ المتصوِّفة؛ ظنًّا بأنَّ هذه البلاد والدَّعوة الَّتي قامت عليها إنَّما هي دعوةٌ سياسيَّةٌ واكبَتْ خروج رجلٍ دعا إلى الدِّين فاحتملها فخرجت بذلك عن جماعة المسلمين، وصارت هذه البلاد الوهَّابيَّة - كما يسمُّونَها - متميِّزةً عن غيرها بعقيدةٍ إنَّما وُجِدت من مائتي سنةٍ، وهم يقولون: إنَّ دينكم وُجِد مِن مائتي سنةٍ!

ونحن نقول بِحَمْدِ اللَّهِ: إنَّ ديننا مِن ألفٍ وأربعمائة سنةٍ، فنحن لا نُدرِّس عقائدَ أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ، ولا محمَّدِ بنِ عبد الوهَّاب، وإنَّما نُدرِّس ما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وأمَّا أنتم فإنَّكم تنتسبون إلى إلى أبي الحسن الأشعريِّ، وأبي منصورٍ المَاتُريديِّ؛ فتُسمُّون أنفسكم (الماتُريديَّة)، وتُسمُّون أنفسكم (الأشاعرةَ)،

فمِن محاســن عقيدة السَّــلف: أنَّها قويَّة الصِّــلة بالكتاب والسُّــنَّة؛ فالَّذي يأخذ بِها يطمئنُّ قلبه، وتَسْكُن روحه.

بخلاف عقائد المخالِفين لهم على اختلافهم في قرون الأمَّة؛ فإنَّ عقائدهم مشوَّشةٌ مضطرِبةٌ، ويَغلِب عليها الجدل العقليُّ، والقياس المَنطِقيُّ.

فالنُّفوس المجبولة على حبِّ الوحي، المُتغرغرةُ بحلاوة القرآن والسُّــنَّة؛ تأبى تلك العقائدَ، وإن لم تسترشد بالوصول إلى عقائد السَّلف.

ففي القرون الماضية نشأ مَن نشأ في بعض بلدان المسلمين ممَّن عَسُر عليه أن يَصِل إلى معرفة ما عليه السَّــلف؛ لقلَّة الكتب في تلك النَّواحي، لكنَّه أنكر تلك العقائد المشــهورة في بلاده لأنَّه لم يرها موافقةً لِما عرفه من القرآن الكريم، وما وَقف عليه مِن الأحاديث النَّبويَّة.

فأحد علماء بلاد ما وراء النَّهر - الَّتي هي في جهات الجمهوريَّات السُّــوفيتيَّة حينئذٍ - اسمُه عبد النَّصير، صنَّف كتابًا اسمه «الرَّدُّ على العقائد النَّسفيَّة»؛ لأنَّه رأى أنَّ هذه العقائد لا توافق سكون الإيمان الَّذي عرفه من القرآن؛ وإن كان لم يهتدِ هدايةً تامَّةً لِما كان عليه السَّلف؛ لِعسر الوقوف على طريقتهم حينئذٍ بقِلَّة الكُتب الموجودة في بيان عقائد أهل السُّنَّة؛ ككُتب الأوائل كالآجرِّي، واللَّالكائي، وابن بطَّة)، ولا تَيَسَّر له الرُّحلة إلى البلاد التي شُهِرت فيها عقائد السَّلف.

وأمَّا نحن فلا نسمِّي أنفسنا (الوهَّابيَّة)، ولا نُسمِّي أنفسنا (التَّيميَّة)، ولا نُسمِّي أنفسنا أيضًا (الحنبليَّة) على وجه المقابلة والمضاهاة لجماعة المسلمين، وإنَّما ننتسب إلى مذهب الحنابلة في الفروع. [شرح برنامج التَّعليم المستمر].

لكن مَن عَرف خبره وخبر آخرين ممَّن رأوا أنَّ هذه العقائد المخالِفة للكتاب والسُّنَّة هي مشوِّشةٌ للقلب؛ وَقَر في قلبه فضل عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة - المبنيَّة على الكتاب والسُّنَّة وعلى ما كان عليه سلف الأمَّة - أنَّها ترجع على صاحبها بالطُّمأنينة والسَّكينة.

ومَن جَرَّب عَرف.

فالَّذين أُشرِبوا علوم الكلام مِن قبلُ، ثمَّ اهتدوا إلى طريقة السَّلف؛ كتبوا في ذلك ما كتبوا مبيِّنين من أنَّهم كانوا في شكٍّ وحيرةٍ واضطرابٍ حتَّى هُدوا إلى طريقة السَّلف؛ لأنَّ قوام طريقة السَّلف هي الوحي، والوحي له سلطانٌ على النُّفوس؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صفة الكتاب: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

واعتَبِر هذا في أنَّ الإنسان إذا ألقى سمعه إلى قراءة الآيات الَّتي في «العقيدة الواسطيَّة» متتابِعةً يجد في ذلك مِن قُوَّة الأُنْس بما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه مِن الكمالات في الأسماء والصِّفات ما لا يجده في قراءة كلام البشر.

فالقرآن الكريم له سلطانٌ في ذلك على قلوب النَّاس، وقوَّةٌ يُهدَون بِها إلى سبيل الإسلام والسُّنَّة.

ومِن لطائف ذلك: أنَّه حضر برنامج (مهمَّات العلم) سنة إحدى وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ (١٤٣١) طالب علمٍ أشعريٍّ، ووافق قراءة «عقيدة الواسطيَّة» بقراءة الآيات والأحاديث فيها، وأنتم تعرفون أنَّنا نقرأها سردًا ثمَّ نُعلِّق عليها؛ فكان ذلك سبب اهتدائه إلى عقيدة السَّلف، وله اليوم بِحَمۡدِ ٱللَّهِ دروسٌ في بلاده في بيان عقيدة السَّلف ونُصرتِها.

فهذا اهتدى بسماع الآيات والأحاديث في هذه العقيدة؛ لأنَّ كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له مِن الحلاوة ما تجده القلوب الَّتي تطلب الحقَّ وتريدُه، فيهديها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إليه.

وهي نعمةٌ عظيمةٌ، لا يعرفها كثيرٌ مِن النَّاس الَّذين نشؤوا على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في بُلدانِهم، وجديرٌ بِهم أن يحرصوا عليها؛ تعلُّمًا، وتعليمًا، ونشرًا، ودفاعًا وبيانًا للنَّاس، ولا سيَّما في هذه الأزمان الَّتي كثُرت فيها الشُّبهات، وطَمَّت فيها الطَّامَّات، وكثُرت الآفات.

فينبغي أن يتزوَّد المرء بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وأن يسعى في نشرها بين النَّاس؛ لأنَّ قَوام صلاح حال النَّاس في صلاح عقيدتِهم وإيمانِهم بربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.